هدايات القرآن المبين لعباد الله المستضعفين

(دراسة موضوعية)

د. محمد بن ناصر الحميد(*)

ملخص البحث

اشتمل هذا البحث على بيان حقيقة الاستضعاف، وبيان المراد بكل من المستضعِف والمستضعَف، ثم أقسام الاستضعاف، وذكر بعض صوره الواردة في القرآن الكريم وأسباب وقوعه على المؤمنين. ثم تتبعتُ الهدايات القرآنية للمستضعفين، فكانت على قسمين:

هدايات قلبية، وهي: الإيمان بالله والثبات عليه، والاعتبار بالسنن الكونية، والتفكر والاعتبار بالأمم السابقة، والتوكل على الله، والصبر على البلاء والاضطهاد، وحسن الظن بالله والاستبشار بالنصر والتمكين وانتظار الفرج.

وهدايات عملية، وهي: الاشتغال بالعبادة والدعاء، والاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة وعدم التنازع، والسمع والطاعة للحكام في غير معصية الله، والوعظ والنصيحة للحكام، والكفُّ عن القتال وعدم المواجهة، والهجرة، والأخذ بالرخص المشروعة عند الاضطرار.

وكان المقصود من هذه الدراسة إرشاد الأمة إلى التصرفات الحكيمة على هدي الكتاب والسنة في حال الاستضعاف، وعدم الدخول في تصرفات تخالف الكتاب والسنة؛ لأن فيهما الهدى والنور وصلاح عاقبة الأمور.

(*) الأستاذ المشارك بقسم التفسير بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المقدمة

الحمد لله العلي الكبير القائل في محكم تنزيله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ – ٦]، والصلاة والسلام على البشير النذير، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد شاء الله تعالى أن يبتلي عباده بعضهم ببعض أو بالمصائب والكوارث؛ لتمحيصهم وتمييزهم، فيتبين الصادق من الكاذب والصابر من الجازع، قال تعالى: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣]. وهذه سنة جارية من سنن الله الكونية على مر العصور.

وسوف أسعى في هذا البحث في بيان المنهج الشرعي الذي ينبغي للمسلم سلوكه حال الابتلاء من خلال الهدايات التي عرضها القرآن الكريم في قصصه وأخباره وفي أحكامه وإرشاداته، وكذلك ما يمكن استنباطه منها؛ إذ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا وَأَصْوَبِهَا من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره الدينية والدنيوية[1]. وقد سمّيتُه هدايات القرآن المبين لعباد الله المستضعفين.

(١) انظر: تفسير السعدي – (١ / ٤٥٤). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٣ / ١٧).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تتلخص أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره في النقاط التالية:

١. عناية القرآن الكريم بالحديث عن المستضعفين، وما ينبغي لهم فِعْلُه حال الاستضعاف والاضطهاد.

٢. خدمة هذا البحث للتفسير الموضوعي الذي هو أحد أنواع التفسير.

٣. كثرة الاضطهاد والتضييق على أهل الإسلام في دينهم ودنياهم في أماكن شتى.

٤. جهل كثير من المسلمين بالمنهج الشرعي وتخبطهم حال الاستضعاف والاستذلال.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس.

أما المقدمة، ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه، ومنهج البحث.

وأما التمهيد، ففيه: بيان حقيقة الاستضعاف، وبيان المراد بكل من المستضعِف والمستضعَف.

الفصل الأول: أقسام الاستضعاف، وبعض صوره الواردة في القرآن الكريم، وأسباب وقوعه على المؤمنين. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الاستضعاف.

المبحث الثاني: من صور الاستضعاف الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب وقوع الاستضعاف على المؤمنين.

الفصل الثاني: الهدايات القلبية للمستضعفين. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله والثبات عليه.

المبحث الثاني: الاعتبار بالسنن الكونية.

المبحث الثالث: التفكر والاعتبار بالأمم السابقة.

المبحث الرابع: التوكل على الله.

المبحث الخامس: الصبر على البلاء والاضطهاد.

المبحث السادس: حسن الظن بالله، والاستبشار بالنصر والتمكين وانتظار الفرج.

الفصل الثالث: الهدايات العملية للمستضعفين. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الاشتغال بالعبادة والدعاء. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاشتغال بالعبادة.

المطلب الثاني: الاشتغال بالدعاء.

المبحث الثاني: الاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة وعدم التنازع.

المبحث الثالث: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله.

المبحث الرابع: الوعظ والنصيحة للحاكم.

المبحث الخامس: الكف عن القتال وعدم المواجهة.

المبحث السادس: الهجرة.

المبحث السابع: الأخذ بالرخص المشروعة عند الاضطرار. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النطق بكلمة الكفر حال الإكراه.

المطلب الثاني: الرخصة في الإقامة في بلاد الكفر لمن عجز عن الهجرة.

المطلب الثالث: الرخصة في التقية.

ثم الخاتمة. وفيها أهم نتائج البحث.

ثم الفهارس. وهي كالآتي:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج الكتابة في البحث

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث من مصادرها، مع بيان درجتها من حيث الصحة أو الضعف، وما كان منها في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجها منه.
٣. عزو الأقوال إلى قائليها مع بيان المصدر الذي اقتبست منه.
٤. الاعتناء بعلامات الترقيم.
٥. شرح الألفاظ الغريبة.
٦. اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الاستنتاجي.

التمهيد

وفيه: **بيان حقيقة الاستضعاف، وبيان المراد بكل من المستضعِف والمستضعَف.**

الاستضعاف في اللغة: مأخوذ من الضَعْفُ والضُعْفُ. أي: خلاف القوَّة. وقد ضَعُفَ، فهو ضعيفٌ. وأضْعَفَهُ غيره. وقومٌ ضِعافٌ وضُعَفاءُ وضَعَفَةٌ. واسْتَضْعَفَهُ، أي: عَدَّه ضَعيفاً وأذله. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [القصص: ٤][1]. وقوبل الاستضعاف في القرآن الكريم بالاستكبار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [سبأ: ٣٣][2].

فالمستضعِف إذن: هو المستكبر الذي يتسلط على الآخرين بالإذلال والتضييق.

والمستضعَف: هو الذي يقع عليه الإذلال والتضييق من قِبَل المستكبر.

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة، مادة: (ضعف)، - (١ / ٤١٠). والمعجم الوسيط، مادة: (ضعف)، - (١ / ٥٤٠).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة: (ضعف)، – (٢٩٦).

الفصل الأول

أقسام الاستضعاف، وبعض صوره الواردة في القرآن الكريم وأسباب وقوعه على المؤمنين

وفي هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الاستضعاف

ينقسم الاستضعاف إلى قسمين:

١. الاستضعاف في الدين. وذلك بالتضييق على الناس في إقامة شعائر دينهم ومنعهم منها أو من بعضها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

٢. الاستضعاف في أمور الدنيا. وذلك بالتضييق على الناس في أرزاقهم وفي مصالحهم الأخرى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. وقول النبي – ﷺ –: «اللَّهُمَّ مَنْ ولي مِنْ أمر أمتي شيئا فَشقَّ عليهم فاشقق عليه...»[(١)].

المبحث الثاني: من صور الاستضعاف الواردة في القرآن الكريم

لقد عرض القرآن الكريم صوراً كثيرة للاستضعاف من قِبَل المستكبرين تجاه من احتقروهم من الناس، أو من خالفهم في الدين. ومن ذلك:

١. التوعُّد بالإخراج والإجلاء. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

٢. التوعد بتقطيع الأيدي والأرجل والصلب. كما قال سبحانه عن فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

---

(١) صحيح مسلم، (١٨٢٨)، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، - (٣ / ١٤٥٨).

٣. التوعد بالسجن. قال تعالى عن فرعون يتوعّد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

٤. التعذيب. كما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [إبراهيم: ٦].

٥. قتل الأبناء واستحياء البنات. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

٦. السخرية والاحتقار. قال تعالى عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، وقال عن قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

٧. المكر والكيد. قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٤٨ – ٥٠].

٨. التكذيب والقتل. قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

٩. استعباد البشر. قال تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ١٧ – ٢٤].

فهذه جملة من صور الاستضعاف التي يتوارثها الظلمة جيلا بعد جيل، إلى غير ذلك من الصور التي عرضها القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب وقوع الاستضعاف على المؤمنين.

يقع الاستضعاف والاستذلال على الناس بسببين:

١. تمحيص العباد بالابتلاء، كما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣ – ٣٠].

ومعنى قوله تعالى في الآيات: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠]، أي: إن في ذلك لآيات وابتلاء وكنا مبتلين، أي: وشأننا ابتلاء أوليائنا. فإن الابتلاء من آثار الحكمة الإلهية لترتاض به نفوس أوليائه[١]. وقال تعالى في ابتلائه للمؤمنين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وسئل رسول الله – ﷺ – مَنْ أشدُّ الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه...»[٢].

٢. الذنوب والمعاصي. فيقع الاستضعاف كذلك عقوبة على العباد بسبب ما يقترفونه من الذنوب والمعاصي التي تقع بسبب الجهل والإعراض عن العلم الشرعي. وأخطرها الشرك بالله وإحداث البدع، فإنهما أكبر سبب لكل شر في العالم من فتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك[٣]. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال أيضا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ

(١) التحرير والتنوير - (١٨ / ٤٠).

(٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط، (٢٩٢١)، كتاب: ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، باب: ذكر البيان بأن البلايا تكون بالأنبياء ثم الأمثل فالأمثل في الدين - (٧ / ١٨٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى - (١٥ / ٢٥).

لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فـفي الآية دلالة على أن العباد إذا كَثُرَ ظلمهم وفسـادهم ومَنْعهم الحقوق الواجبة، ولَّى عليهم ظلمة يسـومونهم سـوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين[1].

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢٧٣).

الفصل الثاني

الهدايات القلبية للمستضعفين

القلب أهم الأعضاء في الإنسان؛ إذ بصلاحه تصلح الجوارح والأعمال. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كلها عن أمره ويستعملها فيما شاء، - فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»[1]، فهو ملكها، وهي المنفذة لما يأمرها به القابلة لما يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته - كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون[2].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به المصدقين بآياته العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا؛ إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه والجهالة والآراء الفاسدة والانحراف السيئ والقصود السيئة، فإنه مشتمل على العلم اليقيني الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية والثواب العاجل والآجل»[3].

(١) صحيح البخاري، (٥٢)، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، - (١ / ٢٨). وصحيح مسلم، (١٠٧)، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، - (٣ / ١٢١٩).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - (١ / ٥).

(٣) تفسير السعدي - (١ / ٤٦٥).

وفي هذا الفصل ستة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله والثبات عليه.

لقد عاب الله تعالى على من يبيع دينه ويتنازل عنه عند حصول الفتنة والأذى بسببه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. قال ابن عباس: يعني فتنته: أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١][1].

فعلى المسلم أن يستمسك بإيمانه مهما حصل له من الأذى والإذلال؛ لأن النصر والتمكين لا يتحققان إلا بانتفاء الشرك بكل صوره وتحقيق التوحيد والإيمان بالله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

وهذا أعظم أثر للتوحيد على الناس في دولتهم وفي مجتمعهم، أنهم إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا وأقروا التوحيد ونبذوا الشرك فإنهم موعودون بفتح فضل الله جَلَّ وَعَلَا لهم[2]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

وأما من باع دينه وإيمانه فقد باء بالخيبة والخسران، حتى وإن حصل له السلامة ممن آذاه، فإنها راحة مؤقتة تزول بموته، ولربما زالت قبل ذلك.

(١) تفسير ابن كثير - (٦ / ٢٦٥).

(٢) شرح كتاب ثلاثة الأصول، للشيخ صالح آل الشيخ - (ص ٢٣).

المبحث الثاني: الاعتبار بالسنن الكونية.

لقد سَنَّ الله تعالى في عباده سننا كونية لا تتبدّل ولا تتحول، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣].

ومن تلك السنن الكونية: الابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣].

ومنها: أن الله تعالى يسلط الظالمين على الظالمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

ومنها أيضا: أن ما يحصل من تغير أحوال الناس من حسن إلى سيء أو العكس، إنما هو مترتب على ما يكون من قِبَل الناس من التغيير في أنفسهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

فعلى هذا فإن ما يقع من فساد ومصائب في الناس إنما هو بسبب ذنوبهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]. وارتفاع البلاء وزوال الكرب يتحقق بالتوبة إلى الله تعالى. قال سبحانه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]. أي: فهلا إذ ابتليناهم بأنواع من البلاء والمصائب تضرعوا إلينا وتمسكنوا إلينا فآمنوا، فكشف عنهم ما نزل بهم من البلاء[1].

فعلى المسلم أن يتفكر في هذه السنن وغيرها؛ ليعتبر، فيتبين له الداء والدواء، فيكون ذلك نبراساً له في السعي للخلاص مما هو فيه من مصائب وفتن بإذن الله تعالى.

المبحث الثالث: التفكر والاعتبار بالأمم السابقة.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

لقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصص الأمم السابقة وما حل بها وبأنبيائها

(١) انظر: تفسير البغوي - (٣ / ١٤٣) وتفسير ابن كثير - (٣ / ٢٥٦).

عليهم الصلاة والسلام من ابتلاء للمؤمنين ومصائب للمعاندين، وما تحقق فيها من سنن الله الكونية. والواجب على المسلم أن يتفكر في تلك القصص؛ ليعتبر بها ويتعظ. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]. أي: كان في قصص الأنبياء والمرسلين مع قومهم عظة وعِبْرَةٌ لأصحاب العقول، يعتبر بها أهلُ الخير وأهلُ الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة. ويعتبرون بها أيضا بما فيها لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له(١).

ومما جاء من ذلك في كتاب الله تعالى في أهل الخير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. فبين الله تعالى في هذه الآية أن العاقبة للمؤمنين، وإن نالهم ما نالهم من الأذى وحصل لهم من التضييق ما حصل، فهذه سنة الله تعالى في أنبيائه وأوليائه.

ومما جاء في أهل الشر قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢ – ١١٣]. وهذه سنة الله تعالى فيهم وفي أمثالهم؛ فقد نزل بهم الجوع والخوف من جراء ما ارتكبوه من الكفر والمعاصي، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

المبحث الرابع: التوكل على الله.

التوكل: هو اعتماد القلب على الله تعالى في تحقيق المقاصد مع بذل الأسباب. فالتوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير - (٤ / ٤٢٦). وتفسير السعدي - (١ / ٤٠٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (٢ / ١١٦).

ولا ريب أن من أهم الهدايات القرآنية حال الاستضعاف التوكل على الله تعالى، قال سبحانه - في أصحاب النبي ﷺ عند استضعاف الأعداء لهم -: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وقال - في أصحاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند استضعاف آل فرعون لهم -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٥]. وقال عن رسله عليهم الصلاة والسلام - عندما استذلهم قومهم وآذوهم -: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١ - ١٢].

فقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، أي: لا على غيره يتوكل الْمُؤْمِنُونَ، فإنهم يعتمدون عليه في جلب مصالحهم ودفع مضارهم؛ لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك. وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ﴾، أي: أيُّ شيء يمنعنا من التوكل على الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل.

وفي هذا إشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بآية عظيمة، وهو أن قومهم -في الغالب- لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله في دفع كيدهم ومكرهم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم

مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

وقول هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤ – ٥٥].

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، فإن فيه ما يدل على أن التوكل على الله مفتاح لكل خير.

وتوكل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - على الله في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل[1].

فعلى المسلم أن يتوكل على الله تعالى لا سيما عند نزول الأذى والضرر من الأعداء ببذل الأسباب العملية التي سيأتي ذكرها في الفصل الثاني من هذا البحث.

المبحث الخامس: الصبر على البلاء والاضطهاد.

الصبر على البلاء قسم من أقسام الصبر الثلاثة، وهو من أعظم الوسائل التي ينبغي الأخذ بها؛ فإن النصر مع الصبر. وقد أوصى الله به عباده، وأوصى به أنبياؤه فقال تعالى مرشدا نبيه ﷺ إلى الصبر: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺ أمر ربه فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله حتى قام المعادون له جميعا ضده وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما[2].

---

(١) تفسير السعدي - (١ / ٤٢٢)، بتصرف.

(٢) تفسير السعدي - (١ / ٧٨٣)، بتصرف.

وقال تعالى في وصيته للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال مرغبا لهم في الصبر ومطمئنا لهم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

كما وصى النبي ﷺ أتباعه بالصبر عند استضعاف الأعداء لهم، فعن خباب بن الأرت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه. واللهِ، ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١).

وقال تعالى عن موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ موصيا قومه بالصبر على أذى فرعون وملئه وإذلالهم إياهم -: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

المبحث السادس: حسن الظن بالله تعالى، والاستبشار بالنصر والتمكين، وانتظار الفرج.

ورد في كتاب الله تعالى آيات عديدة تربي المؤمنين على حسن الظن بالله تعالى والثقة به وانتظار الفرَج منه بعد الكرب واليسر بعد العسر؛ فإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذٍ قريبًا(٢)؛ قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

---

(١) صحيح البخاري، (٣٤١٦)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام - (٣ / ١٣٢٢).

(٢) ينظر: موارد الظمآن لدروس الزمان - (١ / ٥٥).

وقد وعد الله تعالى رسله والمؤمنين بالنصر وعدا مؤكداً، وحكم وكتب في كتابه الأول وقَدَره الذي لا يُخالَف ولا يُمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وأن العاقبة للمتقين(١)، فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

كما بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نصر المستضعفين والتمكين لهم في الأرض أمر مراد منه عَزَّوَجَلَّ، وإذا أراد شيئا هيأ أسبابه وأتى به شيئا فشيئا بالتدريج لا دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ – ٦].

ولذا بشَّر نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بهلاك عدوهم والتمكين لهم في الأرض حينما شكوا إليه إيذاء آل فرعون لهم، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

فإذا كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل، ولا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير - (٨ / ٥٣)..

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام - (ص ١٧٩).

الفصل الثالث

الهدايات العملية للمستضعفين

تقدم الكلام عن التوجيهات القلبية للمستضعفين، وكان من تلك التوجيهات وجوب الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؛ والإيمان ليس مجرد اعتقاد بالقلب؛ بل لا بد من العمل الذي يصدقه، فإن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد من هذه الأركان لم يكن الرجل مؤمنا[1]، قال الحسن البصري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]»[2].

وفي هذا الفصل سبعة مباحث:

المبحث الأول: الاشتغال بالعبادة والدعاء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاشتغال بالعبادة.

الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ[3]؛ وهي زاد المؤمن ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، كما أنها سبيل للفرج والمخرج، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]. ولهذا أمر الله تعالى عباده المستضعفين بالاشتغال بالعبادة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل سائر القربات[4]، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) العقيدة الواسطية - (١ / ١٠).
(٢) شعب الإيمان - (١ / ١٥٩).
(٣) الفتاوى الكبرى - (٥ / ١٥٥).
(٤) ينظر: تفسير السعدي - (١ / ٦٢).

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩-١١٠]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [النساء: ٧٧].

ذكر الشيخ محمد العثيمين - رَحِمَهُ اللَّهُ - في ذكر فوائد الآية الكريمة -: أن الأمة إذا كانت لا تستطيع أن تقوم بالجهاد، فلتحسن الأعمال أو العبادات الخاصة؛ لأنها أُمِرت بها؛ لقوله: ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[1].

وفي هذا تربية لهم على الاشتغال بما ينفعهم وتَعُودُ عليهم عاقبتُه يوم القيامة، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[2].

وقال تعالى في شأن بني إسرائيل لما ضيق عليهم فرعون وملؤه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧]. قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وكأن هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قبَل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣][3].

المطلب الثاني: الاشتغال بالدعاء.

إن الدعاء من الأمور العظيمة النافعة للعبد في تحصيل منافعه ودفع الضرر عنه، وهو سلاح ماض؛ ولهذا أرشد الله تعالى عباده إليه، لا سيما المكروبين والمضطهدين، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]. ينبه تعالى هنا أنه هو المدعُوّ عند الشدائد المرجُوّ عند النوازل، وهو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه سبحانه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه[4].

وقد ذكر الله تعالى حال المؤمنين المضطهدين بمكة والتجاءهم إليه بالدعاء، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

(١) تفسير سورة النساء للشيخ محمد بن صالح العثيمين (بتصرف) - (١ / ٥٥١).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير - (١ / ٣٨٣ - ٣٨٤).
(٣) تفسير ابن كثير - (٤ / ٢٨٩).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير - (٦ / ٢٠٣).

ولما ذكر الله تعالى ما حلّ بالأمم السابقة من العذاب قال: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣]، أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكنوا إلينا[١].

فالدعاءُ مع الرجاء مأمورٌ به وموعودٌ عليه بالإجابة[٢]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ولكن الدعاء سببٌ مقتضٍ للإجابة معَ استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تتخلَّف إجابته؛ لانتفاءِ بعض شروطه أو وجود بعض موانعه[٣]، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال ابن سعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]»[٤].

المبحث الثاني: الاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة.

إن من وسائل حصول القوة والمنعة الاجتماعَ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاعتصام بهما؛ والتنازع والفرقة والابتداع من أعظم أسباب الضعف والفشل؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، هذه الآية جاءت بعد الأمر بالتقوى في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فأمر الله تعالى المؤمنين فيها بما يعينهم على التقوى، وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين؛ فإن في اجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم صلاح دينهم ودنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها من التعاون على

(١) تفسير ابن كثير - (٣ / ٢٥٦).
(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم - (ص ٣٦٨).
(٣) جامع العلوم والحكم - (ص ٣٦٨).
(٤) تفسير السعدي - (١ / ٨٧).

البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ولو أدى إلى الضرر العام[1]؛ ففي الآية إشعار بأن الاعتصام بحبل الله هو تقوى الله حقا وأن ما سوى ذلك تفرقة، والفرقة من أخس أوصاف المبتدعة؛ لأنها خروج عن حكم الله ومباينة جماعة أهل الإسلام، فالإسلام واحد وأمره واحد فاقتضى أن يكون حكمه على الائتلاف التام لا على الاختلاف[2]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فينبغي للمستضعفين أن يتنبهوا إلى هذا الأمر، وأن يكون همهم مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكونوا إخوة مترابطين وينزعوا من قلوبهم حظوظ النفس.

المبحث الثالث: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله.

لقد شاء الله تعالى أن أمور الناس لا تستقيم إلا بحاكم يحكمهم، تكون له الرياسة والسيادة، وتتحقق بوجوده مصالح عظيمة لا يفطن لها إلا أولو الألباب والبصائر، ولا يعرف قيمتها إلا مَن فُقِد لديهم الحاكم؛ فلا بد للقوم من أمير يقوم على شؤونهم، ولهذا استخلف موسى أخاه هارون - عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ - على بني إسرائيل عند ذهابه لميقات ربه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وكذلك استخلف النبي - ﷺ - بعض أصحابه على المدينة، ومن ذلك استخلافه أبا لبابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - على المدينة عند خروجه إلى بدر[3]، واستخلافه علياً - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - على المدينة عند خروجه إلى تبوك[4].

وقال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا [5]

(١) تفسير السعدي - (١ / ١٤١)، بتصرف يسير.
(٢) ينظر: الاعتصام للشاطبي - (١ / ١١٣)، و (٢ / ١٩٢).
(٣) ينظر: الإصابة - (٤ / ١٦٧).
(٤) يراجع صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة تبوك، رقم (٤٤١٦).
(٥) من شعر الأفوه الأودي. والسَّراةُ: أَعْلى كلِّ شيءٍ، ومنه سَراةُ النهارِ، أَعْلاهُ. يراجع: الأمالي في لغة العرب، =

وقد أمر الله تعالى بطاعة ولاة الأمر مطلقاً في غير معصية الله، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. وجاء عن النبي ﷺ جملة أحاديث في هذا الشأن، منها: قوله ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(١). وقوله: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية»(٢). وجاء في حديث حذيفة بن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»(٣). وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: عن النبي ﷺ قال: «ستكون أَثَرَةٌ وأمور تنكرونها». قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»(٤). وفي سنن البيهقي بلفظ: «إنها ستكون أثرة وأمور تنكرونها. قالوا: فما يصنع من أدرك ذلك يا رسول الله؟ قال: أدوا الحق الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم»(٥).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - معلقاً على هذا الحديث -: «وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولِّي ظالما عسوفا، فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع،

= لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، - (٢ / ٢٢٨). وتاج العروس من جواهر القاموس - (٣٨ / ٢٦٦).

(١) صحيح البخاري، (٦٧٢٥)، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، - (٦ / ٢٦١٢). صحيح مسلم، (١٨٣٩)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية - (٣ / ١٤٦٩).

(٢) صحيح البخاري، (٦٧٢٤)، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، - (٦ / ٢٦١٢).

(٣) صحيح مسلم، (١٨٤٧)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - (٣ / ١٤٧٥).

(٤) صحيح البخاري، (٣٤٠٨)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، - (٣ / ١٣١٨). وصحيح مسلم، (١٨٤٣)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول - (٣ / ١٤٧٢).

(٥) سنن البيهقي الكبرى، (١٦٣٩٢)، كتاب: قتال أهل البغي، باب: الصبر على أذى يصيبه من جهة إمامه وإنكار المنكر من أموره بقلبه وترك الخروج عليه، - (٨ / ١٥٧).

بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه»[1].

فقد كان هذا منهج السلف رحمهم الله تعالى، ومن ذلك ما جاء في كتاب الشريعة للآجري عن الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أيام يزيد بن المهلب[2] قال: وأتاه رهط، فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قِبَلِ سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧][3].

ولا يخفى موقف الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - في صبره على ما لاقاه من التعذيب في فتنة القول بخلق القرآن، فإنه قد عُذِّب عذابا شديدا في زمن المأمون ثم المعتصم والواثق، ولكنه صبر واحتسب، وعفا عمن آذاه، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ [النور: ٢٢]، ويقول: ما ذا ينفعك أن يعذَّب أخوك المسلم بسببك[4].

وذكر ابن حجر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - إجماع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح[5]. وقال الإمام النووي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين[6].

فهكذا يتبين لنا إلى أي مدى يكون السمع والطاعة للأمير وإن كان ظالما جباراً، ما لم يأمر بمعصية الله.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٢٣٢).
(٢) ولي البصرة لسليمان بن عبدالملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٠٣).
(٣) الشريعة للآجري (١ / ٢١٩).
(٤) ينظر: البداية والنهاية (١٠ / ٣٣٥).
(٥) ينظر: فتح الباري (١٣ / ٧).
(٦) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم - (١٢ / ٢٢٩).

المبحث الرابع: الوعظ والنصيحة للحاكم.

إن من أعظم دعائم الدين الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الشعيرة العظيمة ينبغي تحقيقها بين المسلمين عامة على اختلاف طبقاتهم، فينصح المسلم نظيره في المنزلة ومن هو دونه ومن هو أعلى منه بالأسلوب الشرعي، بل ويوعظ الكفار أيضا حتى الحكام منهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٩]. فهذا يدل على أن بذل النصيحة للحاكم المسلم الظالم من باب أَولى؛ لما بيننا وبينه من وَلاية الإسلام.

وقد بيَّن القرآن الكريم الأسلوب الذي يجب أن يكون عليه الوعظ للحاكم الظالم، قال سبحانه في خطابه لموسى وهارون - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤]. فإذا كان هذا الأمر بهذا الأسلوب مع الحاكم الكافر المتصف بالظلم والطغيان، فلأن يكون مع الحاكم المسلم الظالم من باب أولى، وقد قال النبي - ﷺ -: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم...»(١). وعنه - ﷺ - قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَلْيَخْلُ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي لَهُ وَالَّذِي عَلَيْهِ»(٢).

فتبين من هذه النصوص من الكتاب والسنة مشروعية النصح لولي الأمر، وأن يباشر ذلك العلماء الناصحون، بالأسلوب الأمثل الذي يرجى نفعه في الوعظ والنصح، وذلك بالقول اللين والتأدب والاختلاء به، وعدم التشهير به وعدم الإنكار عليه علناً.

(١) أخرجه مالك في الموطأ، (١٧٩٦)، كتاب: الكلام، باب: ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين - (٢ / ٩٩٠). وابن حبان في صحيحه بتحقيق الأرنؤوط، (٣٣٨٨)، باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر، - (٨ / ١٨٢). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما.

(٢) صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم - (٢ / ٢٧٥). السنن الكبرى للبيهقي، (١٧١٠٣)، كتاب: قتال أهل البغي، باب: النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَمَا عَلَى الرَّعِيَّةِ مِنْ إِكْرَامِ السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ - (٨ / ١٦٤). والمعجم الكبير للطبراني، (١٤٤١٥)، - (١٢ / ٣٤٤). والسنة لابن أبي عاصم، (١٠٩٨)، باب: كيف نصيحة الرعية للولاة - (٢ / ٥٢٢).

فهذا من تمام النصح له. وقد روى تميم الداري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - ﷺ - قوله: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم»(١).

المبحث الخامس: الكف عن القتال وعدم المواجهة.

كان المسلمون في ابتداء الإسلام وحينما كانوا مستضعفين بمكة ممنوعين من القتال، ولم يؤذن لهم بجهاد أعدائهم لعدة حكم وأسباب منها: قلة عَددهم وعُددهم بالنسبة إلى ما عند عدوهم من ذلك، ولو أُذن لهم بالقتال أو فرض عليهم فقاتلوا في هذه الحال، لأدى إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها، ومنها: أن حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق عليهم، ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل(٢).

وقد حذّر القرآن الكريم من تعريض النفس للهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ولا ريب أن المستضعفين حينما يخوضون في قتال عدوهم سيلقون بأيديهم إلى التهلكة بذلك، ولا يتحقق لهم مرادهم من الغلبة والنصر؛ ولهذا أمر الله تعالى نبيه - ﷺ - وأصحابه - رضوان الله عليهم - بالكف عن القتال في أول الإسلام - حينما كانوا مستضعفين -، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمة الله عليه - في ذكر فوائد آية سورة البقرة: ومنها: «جواز مهادنة الكفار إذا لم يكن للمسلمين قوة، ومنها: إثبات الحكمة لله - عَزَّوَجَلَّ -؛ حيث أمر بالعفو والصفح إلى أن يأتي الله بأمره؛ لأن الأمر بالقتال قبل وجود أسبابه وتوفر شروطه من القوة المادية والبشرية ينافي الحكمة»(٣).

(١) صحيح مسلم، (٩٥)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة - (١ / ٧٤).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥ / ١٧٠). وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٥٩). وتفسير السعدي (١ / ١٨٧).
(٣) تفسير سورة البقرة للشيخ محمد بن صالح العثيمين - (١ / ٣٦١).

وقال عند تفسير آية النساء: وقوله: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧]، أي: امنعوها عن القتال، وذلك أن بعض الصحابة الذين كانوا في مكة لما ظلمتهم قريش وضيقت عليهم قالوا: لماذا يحجرون علينا ويظلموننا؟ أفلا نقاتلهم؟ فقيل لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾، أي: لا تقاتلوهم؛ لأن القتال في غير موضعه مهلكة، فلا تقاتلوا، بل ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ والمسلمون كانوا في مكة مضطهدين مظلومين، وليس لهم شوكة وليس لهم دولة، فالقتال غير لائق إطلاقا، فقيل لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾[1].

فلو وقع المسلمون المستضعفون في مثل هذه الحال من الاضطهاد والظلم وليست لهم شوكة ولا دولة، فإن الواجب عليهم الأخذ بهذا الهدي القرآني، من كف اليد عن القتال حتى يصبحوا أهلا لذلك كما تقدم.

المبحث السادس: الهجرة.

إن المحافظة على الدين والإقامة والثبات عليه أهم وأعظم وأولى وأحق بالحرص عليه من الإقامة في الوطن؛ إذ إن المرء مأمور بعبادة الله وحده وإقامة شعائر الدين، ولا نجاح ولا فلاح له إلا بذلك، ولذا أرشد الله تعالى المستضعفين من عباده – إذا ضُيِّق عليهم في أرضهم - إلى الهجرة للتمكن من عبادته سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ [النساء: ١٠٠]. وقال سبحانه: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

في هذا تحريض على الهجرة، وترغيب في مفارقة المشركين، وأمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عن الأعداء مندوحة وملجأ يتحصن فيه[2].

وقد هاجر بعض الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – من مكة إلى الحبشة؛ وذلك لما رأى

(١) تفسير سورة النساء للشيخ محمد بن صالح العثيمين - (١ / ٥٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير، بتصرف. - (٢ / ٣٩١) و (٦ / ٢٩٠).

رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء من قِبَل قريش، وهو في عافية؛ لمكانه من الله عَزَّوَجَلَّ، ثم دفاع عمه أبي طالب عنه، فأمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة؛ -لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق-، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وقد امتدح الله تعالى المهاجرين الأولين من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ووصفهم بالصدق في قوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. فهم قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة[2].

ومن لم يتسنّ له الهجرة فليلجأ إلى العزلة في مكان يأمن على نفسه فيه، كما ذكر الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]. قال الإمام الخطابي -رحمه الله تعالى-: والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء الألباء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرا، ولاسيما في هذا الزمان القليل خيره البكيء دَرُّه، وبالله نستعيذ من شره وريبه[3].

المبحث السابع: الأخذ بالرخص المشروعة عند الاضطرار.

قد يفتن المرء في دينه ويضيَّق عليه، فلا يكاد يسلم إلا بالرخص التي أذن الله تعالى بها، وإن كانت في ظاهرها مناقضة للدين.

(١) ينظر: البداية والنهاية - (٣ / ٨٤ - ٨٥).
(٢) تفسير السعدي - (١ / ٨٥٠).
(٣) العزلة للخطابي - (ص ٨) والبكيء: القليل.

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جواز النطق بكلمة الكفر حال الإكراه.

لا شك أن أعظم النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين نعمة الإيمان، التي بها نجاح المؤمن وفلاحه في الدنيا والآخرة، وقد يمتحن الله عبده في إيمانه، فيجب على المؤمن أن يصبر ويصمد على إيمانه مهما يعرض له من الظروف والمتاعب والمضايقات في سبيله؛ لينال العبد ما وعد الله به من طيب العيش في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، فإن لم يصبر المرء أو اغترَّ بزخارف الدنيا، فكفر بالله بعد إيمانه، فقد استحق العذاب الأليم من رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

ولما كان هذا الدين دين السماحة واليسر، خفف الله عن عباده، فرخص في النطق بكلمة الكفر لمن لم يتحمل التعذيب مع اطمئنان القلب بالإيمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وقد روي عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عمَّار بن ياسر، حين عَذَّبه المشركون، حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مُكرَهاً، وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال النبي - ﷺ -: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢].

وقد أجمع العلماء على هذه الرخصة[٣]؛ وأما من صبر على التعذيب فهو أفضل عند الله تعالى[٤]؛ فقد صبر بعض الصحابة على التعذيب حتى قتلوا، ولم يلاموا على ذلك.

المطلب الثاني: الرخصة في الإقامة في بلاد الكفر لمن عجز عن الهجرة.

(١) تفسير ابن كثير - (٤/ ٦٠٥).

(٢) قال الشيخ الألباني: صحيح. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. سنن ابن ماجه بتعليق الألباني، (٢٠٤٣)، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي - (١/ ٦٥٩). وصحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط، (٧٢١٩)، باب: فضل الأمة (ذكر الأخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة)، - (١٦/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير - (٤/ ٦٠٦).

(٤) ينظر: فتح الباري - (١٢/ ٣١٦).

من المسلمين من ينشأ في غير بلاد الإسلام، وربّما يحصل له التضييق في إقامة شعائر الدين، وفي هذه الحال تجب الهجرة إلى بلاد إسلامية يتسنى له فيها إقامة شعائر الدين، إلا أنه قد يشق ذلك في بعض الأحيان، فلا يتمكن المسلم من الهجرة، وفي هذه الحال يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

قال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -: «فالناس في الهجرة على ثلاثة أضرب:

أحدها: من تجب عليه، وهو: من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الثاني: من لا هجرة عليه، وهو: من يعجز عنها، إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف من النساء والولدان وشبههم، فهذا لا هجرة عليه؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨ - ٩٩]. ولا توصف باستحباب؛ لأنها غير مقدور عليها.

الثالث: من تستحب له ولا تجب عليه، وهو: من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر، فتستحب له؛ ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعونتهم، فيتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه؛ لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة»[1].

المطلب الثالث: الرخصة في التقية.

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لابن قدامة - (١٠ / ٥٠٥).

دلت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على تحريم موالاة الكفار لأي سبب من الأسباب، وأنه يجب على المسلمين بغضهم وعدم محبتهم، قال النبي - ﷺ -: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»(١).

ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. وقول النبي - ﷺ -: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»(٢)، ومعناه: من اختلط به وامتزج به وسكن معه فإنه يكون مثله؛ لأن الاحتكاك قد يؤثر، والمشابهة في الظاهر قد يحصل منها تأثير على الباطن(٣)، وفي هذا تحذير من مساكنتهم التي قد تورث موالاتهم، وذلك من نواقض الإسلام.

وأما إذا كان المسلمون مستضعفين يخافون على أنفسهم الضرر فلا حرج عليهم حينئذ أن يعاملوا الكفار بالتقية، وهي: أن يلاطفوهم بالظاهر دون الباطن درءا لشرهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار، أو يتخذوهم وليجةً(٤) من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفارُ عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللُّطف، ويخالفونهم في الدين(٥).

وقال ابن جرير: «إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل»(٦).

(١) صححه الشيخ الألباني. مسند الطيالسي، (٧٨٣)، - (٢ / ١١٠). السلسلة الصحيحة، (٩٩٨)، - (٣ / ٧٢).
(٢) قال الشيخ الألباني: صحيح. سنن أبي داود بأحكام الألباني، (٢٧٨٧)، باب: في الإقامة بأرض الشرك - (٢ / ١٠١).
(٣) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد - (١٥ / ١٣٠).
(٤) وليجَةُ الرّجُل: بِطانَتُه ودُخَلاؤُه وخاصّتُه. النهاية في غريب الأثر - (٥ / ٥٠٢).
(٥) جامع البيان - (٦ / ٣١٣).
(٦) جامع البيان - (٦ / ٣١٣).

وكان السلف يعاملون الأعداء بالتقية التي رخص الله تعالى بها. قال أبو الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّا لَنَكْشرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ(١).

والتقية ليست موالاة، واستثناها الله تعالى من النهي؛ لأن مقتضى البراءة من الكفار إظهار العداوة لهم. قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ومعلوم أن التقاة ليست بموالاة ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضي ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة لهم(٢).

والعمل بالتقية ثابت لا ينقطع متى دعت الضرورة إليه، قال الإمام البخاري: «وقال الحسن: التقية إلى يوم القيامة»(٣).

(١) تفسير ابن كثير - (٢ / ٣٠).
(٢) بدائع الفوائد - (٣ / ٥٧٥).
(٣) صحيح البخاري - (٦ / ٢٥٤٢).

الخاتمة

وفيها من النتائج والتوصيات ما يلي:

١. إن الهدايات القرآنية في أمر ما، يمكن أخذها أو استنباطها من خلال آيات الأحكام وآيات القَصَص القرآني.

٢. عظم عناية الله تعالى ورعايته وتربيته لعباده المؤمنين في حفظ دينهم والثبات عليه، لاسيما المستضعفين منهم.

٣. إن أمر المستضعفين بالصبر والروية في شأنهم، وعدم التعرض للمخاطر، مما اتفقت عليه الشرائع.

٤. لا سلامة للأمة إلا بالتزام الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة في جميع أحوالها، وعدم الانجراف وراء العواطف المجردة كما هو حال كثير من المسلمين اليوم.

٥. إن المظاهرات التي تقوم بها بعض المجتمعات المسلمة اليوم للمطالبة بتغيير الحاكم أو المطالبة بالحقوق منهج خاطئ ومخالف لما هدى إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة وهي سلف الأمة.

٦. ينبغي بث هذا الموضوع المهم عبر الخطب المنبرية والدروس العلمية والمحاضرات العامة، وكذلك عبر وسائل الاتصال الحديثة.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين في كل بقاع الأرض، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ).
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت (١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة بيروت (لبنان) ١٤١٥هـ.
٦. الاعتصام، تأليف: أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى (مصر).
٧. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)،الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
٨. الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ت (٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٣٩٨هـ.
٩. بدائع الفوائد، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن القيم الجوزية)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٠. البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت (٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر (الجيزة)، الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية.

١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ).

١٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، (دار الكتب العلمية، بيروت).

١٤. تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة – البقرة للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية محرم ١٤٣١هـ.

١٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ).

١٦. تفسير سورة النساء للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار ابن الجوزري، الطبعة الأولى رمضان ١٤٣٠هـ.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ).

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ).

١٩. جامع العلوم والحكم، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣هـ).

٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها تأليف: **محمد ناصر الدين الألباني**، مكتبة المعارف (الرياض) طبعة ١٤١٥هـ.

٢٢. سنن ابن ماجه، **محمد بن يزيد** أبو عبد الله القزويني، تحقيق: **محمد فؤاد عبد الباقي** وبأحكام الألباني، (دار الفكر، بيروت).

٢٣. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (دار الكتاب العربي ـ بيروت).

٢٤. سنن الترمذي، **محمد بن عيسى** أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: **أحمد محمد شاكر** وبأحكام الألباني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

٢٥. السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت (٤٥٨هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (القاهرة)، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

٢٦. سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله **محمد** بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: **مجموعة** من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٧. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، تأليف: **محمد** بن خليل حسن هرّاس ت (١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع (الجيزة)، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٨. شرح سنن أبي داود، الشيخ عبد المحسن العباد. أشرطة مفرغة.

٢٩. شعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت (٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: **مختار** أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.

٣١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: علي ابن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير ت (٧٣٩هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان).

٣٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٣٣. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان).

٣٤. صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، (برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية)

٣٥. ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت (لبنان)، الطبعة الثالثة: - ١٤١٣هـ.

٣٦. العزلة للخطابي. طبعة دار الحديث.

٣٧. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت (٧٢٨هـ) تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٧٩هـ.

٣٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٤٠. كتاب الشريعة، للإمام المحدث: أبي بكر بن محمد بن الحسين الآجري ت (٣٦٠هـ)، دراسة وتحقيق د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي (كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى)، طبعة دار الوطن (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤١. مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت (٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

٤٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٤٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن القيم الجوزية)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان) الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٤٤. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

٤٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، بأحكام شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة قرطبة، القاهرة).

٤٦. معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ).

٤٧. المعجم الكبير، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٤٨. المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة.

٤٩. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٣٩٩هـ)

٥٠. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت (لبنان)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (دار الفكر، بيروت).

٥٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).

٥٣. موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، تأليف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان ت (١٤٢٢هـ)، طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير، الموكل عنهم: إبراهيم بن علي العودة، الطبعة الثلاثون: ١٤٢٤هـ.

٥٤. موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ).

٥٦. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (إدارة الطباعة المنيرية).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٦٠
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	١٦١
خطة البحث	١٦٢
منهج الكتابة في البحث	١٦٤
التمهيد: بيان حقيقة الاستضعاف، وبيان المراد بكل من المستضعِف والمستضعَف	١٦٥
الفصل الأول: أقسام الاستضعاف، وبعض صوره الواردة في القرآن الكريم، وأسباب وقوعه على المؤمنين	١٦٦
المبحث الأول: أقسام الاستضعاف	١٦٦
المبحث الثاني: من صور الاستضعاف الواردة في القرآن الكريم	١٦٦
المبحث الثالث: أسباب وقوع الاستضعاف على المؤمنين	١٦٧
الفصل الثاني: الهدايات القلبية للمستضعفين	١٧٠
المبحث الأول: الإيمان بالله والثبات عليه	١٧١
المبحث الثاني: الاعتبار بالسنن الكونية	١٧٢
المبحث الثالث: التفكر والاعتبار بالأمم السابقة	١٧٢
المبحث الرابع: التوكل على الله	١٧٣
المبحث الخامس: الصبر على البلاء والاضطهاد	١٧٥
المبحث السادس: حسن الظن بالله والاستبشار بالنصر والتمكين وانتظار الفرج	١٧٦
الفصل الثالث: الهدايات العملية للمستضعفين	١٧٨
المبحث الأول: الاشتغال بالعبادة والدعاء	١٧٨
المطلب الأول: الاشتغال بالعبادة	١٧٨

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: الاشتغال بالدعاء	١٧٩
المبحث الثاني: الاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة	١٨٠
المبحث الثالث: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله	١٨١
المبحث الرابع: الوعظ والنصيحة للحاكم	١٨٤
المبحث الخامس: الكف عن القتال وعدم المواجهة	١٨٥
المبحث السادس: الهجرة	١٨٦
المبحث السابع: الأخذ بالرخص المشروعة عند الاضطرار	١٨٧
المطلب الأول: جواز النطق بكلمة الكفر حال الإكراه	١٨٨
المطلب الثاني: الرخصة في الإقامة في بلاد الكفر لمن عجز عن الهجرة	١٨٩
المطلب الثالث: الرخصة في التقية	١٩٠
الخاتمة	١٩٢
فهرس المصادر والمراجع	١٩٣
فهرس الموضوعات	١٩٩